الأنطولوجيا عند كريستيان فولف

أ. م. د. محمد حبيب سلمان الخطيب
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب
Mohammedh-al-khateeb@uakufa.edu.iq

Authenticity of Christian Wulff

Assis. Prof. Dr. Mohammed Habeeb Salman AL – Khateeb
University of Kufa – College of Arts

ملخّص:

يعد الفيلسوف الألماني كريستيان فولف ممثلاً بارزاً لفلسفة التنوير في ألمانيا في القرن الثامن عشر ، وحظيت مؤلفاه ذات الطابع التعليمي بشهرة واسعة ، وكان لها أثرها على المفكرين في عصره وما تلاه من مدد زمنية ، ولذلك نجد لها أثراً واضحاً عند إيمانويل كانط ، كما أثر في فلسفة فريدريك هيغل ، وعلى الرغم من ذلك عد فولف عند أغلب الباحثين بالمتابع لفلسفة لايبنتز ، وأنه مفتقر للأصالة الفكرية ، والذي إتضح من خلال البحث أنه صحيح في الأطار العام ، وليس بشكل مطلق ، إذ كانت لفولف مسائل عارض فيها فلسفة لايبنتز ، ومنها رفضه المذهب الواحدي (المونادات) ، كذلك رفضه للمنطق الرياضي الذي دعا إليه لايبنتز ، وذهب إلى أن المنهج الأمثل للفلسفة هو المنهج الإستنباطي .

الكلمات المفتاحية: كريستيان فولف، الميتافيزيقا، فلسفة لايبنتز، الأنطولوجيا، التقوية البروتستناتية، الفلسفة المثالية، إيمانويل كانط، فريدريك هيغل.

Abstract:

German Philosopher Christian Wulff is a prominent representative of Enlightenment philosophy in eighteenth – century Germany , his educational compositions were widely known and had an impact on the thinkers of his time and the subsequent periods of time , Therefore , we find that it has a clear impact on Immanuel Kant , as it affected the philosophy of Friedrich Hegel , and in spite of that , Wolf is considered by most researchers to follow the philosophy of Leibniz and that he lacks intellectual originality . Which became clear through the research that it is correct in the general framework and not absolutely, as Wolff had quwstions in which he opposed the philosophy of Leibniz, including his rejection of the monotheistic doctrine (monads), as well as his rejrction of the mathematical logic that Leibniz called for and he went to that the optimal approach to philosophy is the deductive approach.

Key words: Christian Wulff, Metaphysics, Leibniz Philosophy,

Authenticity, Protestant Pietism, Ideal Philosophy, Immanuel Kant, Friedrich Hegel.

المقدمة:

يعد كريستيان فولف الممثل الأكبر للفلسفة التنويرية في ألمانيا في القرن الثامن عشر ، وكانت له مساهمات بارزة في تلك الفترة الزمنية ، فحظي لأجل ذلك بشهرة واسعة ، وكان لمؤلفاته ذات الطابع التعليمي دورها الرئيس في تلك الشهرة ، وكان له تأثير كبير في فلسفة إيمانويل كانط في جوانب عديدة في أمور الميتافيزيقا وأدلة وجود الله وغيرها ، كما كان لفولف صدى بارز في فكر فريديريك هيغل ١٧٧٠ ـ ١٨٣١ . ومع كل هذا فإن فولف لم يحظى بالشهرة نفسها التي نالها صاحب التأثير الأكبر على فكره لايبنتز ، لأنه عد عند أغلب الباحثين تابع لفلسفته ، ولم تكن له أصالة فكرية معينة ، إنما تكمن قيمته في المنهجية الصارمة التي إلتزم بها في عرض فلسفة لايبنتز مع مزيج من فكر العصر المدرسي الوسيط ، فضلاً عن بعض تصوراته الشخصية التي تبرز مكانته العلمية .

البحث محاولة في عرض جهد كريستان فولف في مجال الميتافيزيقا ، ومدى تأثره بلايبنتز ، وهل كانت له أفكاره الخاصة ، أم أنه كان مقلداً وتابعاً لا أكثر ، كذلك عرض التأثير الذي أحدثه في عصره وخاصة على كبار الفلاسفة كانط وهيغل . وتكمن بعض الصعوبات في البحث عن فولف قلة المصادر التي تتحدث عنه، ولذلك كان هناك إعتماد بشكل أساسي على ما كتبه جيمس كولينز في كتابه (الله في الفلسفة الحديثة) ، وموسوعة فريدريك كوبلستون (تاريخ الفلسفة) مع موسوعة ستانفورد الإنكليزية ، والتي تتوفر لها ترجمة مباشرة الى اللغة العربية في كثير من موضوعات البحث .

وتم عرض هذه الأفكار في مدخل وخمسة مباحث ، المدخل خصص لعرضحياة حياة فولف الفكرية وعصره ، ثم تم في المبحث الأول تناول موقف فولف من الفلسفة والغاية منها ، ثم في المبحث الثاني تصوراته عن مبدأ السبب الكافي ومدى توافقه أو إختلافه عن لايبنتز في هذا المبدأ ، وفي المبحث الثالث موقفه من الأنطولوجيا وتميزه فيه عن لايبتنز ، وفي المبحث الرابع عرض أدلة فولف لأدلة وجود الله وما كان لها من أهمية محورية في فلسفة فولف ، وفي المبحث الخامس عن تأثير فولف على معاصريه ، وما كان له من طابع منهجي منظم ، وإدخال مصطلحات فلسفية جديدة الى الألمانية .

التمهيد: حياة فولف الفكرية

ولد في برسلاو في ٢٤ يناير ١٦٧٩ ، وتوفي في مدينة هاله في ٤ أبريل ١٧٥٤ [١] وكان أبوه عاملاً بسيطاً ، بذل جهداً كبيراً في تيسير طرق التعليم لأبنه لما رأى فيه من علامات الذكاء والتفوق [٢] بدأ أولاً في دراسة اللاهوت لكن سرعان ما حدث تحول في دراسته لما رغب بدراسة الرياضيات والفيزياء لفائدتها في حسم المشاكل اللاهوتية الشائكة بشدة في وقته بين الكاثوليك والبروتستانت (اللوثريين) [٣] ويلاحظ كون فولف من عائلة بسيطة رغب والده في دراسته اللاهوت لشعوره بقدرة ولده على الدراسة والتفوق فيها لذكائه وقدراته الخاصة ، أما التحول الى دراسة الرياضيات والفيزياء لاحقاً فهو يعود لقناعة فولف الشخصية .

إنتقل فولف لدراسة الفلسفة في مدينة بينا من عام ١٦٩٩ إلى ١٧٠٢ فتعمق في دراسة مؤلفات ديكارت ، وحصل على الدكتوراه من جامعة لايبزيج أو ليبتسك في ١٧٠٣ برسالة عنوانها : (نحو فلسفة عملية كلية وفقاً للمنهج الرياضي) ، وكان لهذه الرسالة صدى طيباً عند لايبنتز ، فكان أن قامت على أثرها علاقات وطيدة بينهما ومرسلات ، إقتنع من خلالها لايبنتز على مقدرة فولف على تقديم محاضرات الرياضيات في جامعة هاله ، وفي فترة لاحقة ألقى فولف محاضرات في مختلف فروع ما يطلق عليها وقتها الحكمة العالمية ، وكانت ثمرة هذه المحاضرات متون دراسية مهمة كتبها باللغة الألمانية بطريقة غير مألوفة سابقاً ساهمت في تكوين مصطلح فلسفي باللغة الألمانية ، في الوقت التي كانت اللاتينية هي اللغة السائدة في التأليف الفلسفي لمعظم المؤلفات الفلسفية ولقرون متواصلة [٤] والنقاط الأساسية التي تستنتج من هذا العرض والتي ستعكس شخصية فولف العلمية ، أنه تعمق بمؤلفات ديكارت فتأثر بفلسفته المثالية بلا شك ، كما تأثر بالرياضيات وقيمتها العلمية ، وهذا التأثر لم يقتصر على مؤلفات ديكارت بل تجاوزه إلى لايبنتز وفلسفته . ومما يجدر الإشارة إليه أن بعض المصادر تذكر أن فولف تلميذ لايبنتز ، وهي لا تعني أكثر من التأثر بأفكاره دون التلمذة الفعلية بأخذ محاضرات منه .

وفي نقطة ذات دلالة أن فولف أول من ألف باللغة الألمانية ، وأن هذا أمر مبتكر وجديد في عصره ، ويجدر عدم القفز على عصره وقصر النظر إلى الفترة الزمنية التي عاصرها فولف ودلالة تلك النقلة اللغوية الهامة .

إن النجاح والتميز لفولف أثار حسد زملائه من أساتذة جامعة هاله أهمهم : هرمان فرانكه ، ودانيال إشتربلر ، ويواكيم لانجه فعملوا على إبعاده عن جامعة هاله ، وتم لهم

مـا أردوا فـي عـام ١٧٢٣ . حيـث أقنـع هـولاء الأسـاتذة المنتمـين للتقويـة البروتسـتانتية مَلـك بروسـيا فريـدريك فلهلـم الأول بـأن عقلانيـة فولـف تشـكل تهديـداً لقدسـية القسـم والإنضـباط العسـكريين المطلـوب الإلتـزام بهمـا فـي ذلـك الوقـت ، لـذلك أمـر الملـك بطـرد فولـف مـن جامعـة هالـه ، فإضـطر فولـف الـى الإنتقـال إلـى جامعـة مـاربورج وكتـب فيهـا متونـاً فلسـفية جديـدة باللغـة اللاتينيـة هـي : الفلسـفة العقليـة أو المنطـق معروضـاً بحسـب مـنهج علمـي ، الفلسـفة الأولـى أو الأنطولوجيـا ، علـم الكونيـات العامـة ، علـم الـنفس التجريبـي ، علـم الـنفس العقلـي ، اللاهـوت الطبيعـي ، الفلسـفة العلميـة الكليـة . وأسـهمت هذه المتون في شهرة فولف خارج ألمانيا خاصة في فرنسا وإيطاليا [٦].

وكـان لإعـتلاء فريـدريك الثـاني لعـرش بروسـيا أثـراً إيجابيـاً علـى فولـف ، لأن هـذا الملـك كـان مـن المعجبـين بفولـف ، فكـان أن دعـا فولـف للعـودة إلـى جامعـة هالـه فـي عـام ١٧٤٠ ، وحصـل مـن الملـك فـي عـام ١٧٤٥ علـى لقـب بـارون Reichsfreihnerr ، وأتـم فـي ذلـك الوقـت مؤلفاتـه مـن خـلال عـدد مـن المتـون : القـانون الطبيعـي معروضـاً علميـاً ومنهجيـاً ، قـانون الأمـم أو القـانون الـدولي ، نظـم القـانون الطبيعـي ، الفلسـفة الأخلاقيـة أو علم الأخلاق ، الإقتصاد [٧].

وكـان لمؤلفـات فولـف هـذه دورهـا فـي تطـوير مـذهب عقلـي للفلسـفة شـمل الميتافيزيقـا واللاهـوت الطبيعـي ، وأحـدث هـذا المـذهب تـأثيراً قويـا فـي الجامعـات ، حيـث أكـد الغايـة العمليـة للفلسـفة ، هادفـاً مـن ذلـك العمـل علـى نشـر الفهـم والفضـيلة بـين النـاس ، مظهـراً مـن خـلال مؤلفاتـه ثقتـه علـى أن يبلـغ العقـل الإنسـاني اليقـين فـي المعرفـة الميتافيزيقيـة ، بمـا فـي ذلك المعرفة بالله [٨].

ومـع كـل هـذا الجهـد العلمـي الـذي بذلـه فولـف فـي مؤلفاتـه فـإن عـدداً مـن مـؤرخي فلسـفته عـدوها مجـرد عـرض شـعبي لفلسـفة لايبنتـز لا أكثـر ، وأنـه لـم يفهـم مـذهب لايبنتـز الواحـدي ، بـل إنـه فسـرها علـى نحـو ثنـائي مخـالف للـروح المثاليـة الواحديـة التـي تميـزت بهـا فلسـفة لايبنتـز ، كمـا إن فولـف لـم يفهـم مـن وجهـة نظـرهم أصـالة أبحـاث لايبنتـز المنطقيـة ، بـل إقتصـر فولـف علـى عـرض منطـق صـوري تقليـدي مـن دون إسـتفادة مـن جـراءة لايبنتـز فـي إيجـاد منطـق رياضـي جديـد . ومـع هـذا النقـد لفلسـفة فولـف فـإن المـؤرخين أنفسـهم أقـروا لفولـف بالأصـالة فـي العـرض والوضـوح فـي المـنهج لا فـي الأفكـار الخاصـة والآراء المبتكـرة [٩]. ونجـد محـرري موسـوعة سـتانفورد يرفضـون وصـف فولـف بأنـه تـابع الـى لايبنتـز لوجـود إختلافـات فلسـفية مهمـة بينهمـا ، والأمـر لا

يعدو تأثيراً فكرياً في مجال الرياضيات والآخلاق واللاهوت دون أن يصل إلى حد الإتباع المطلق ، ففولف قدم عرضاً أكثر منهجية وشمولاً للفلسفة العقلانية عند لايبنتز ، كما أن إسلوب فولف كان أكاديمياً وتعليمياً يهدف إلى إقامة نظام فلسفي عن طريق مؤلفات فلسفية مفصلة :[١٠]وموقف محرري موسوعة ستانفورد تدعمه المصادر التي أطلع عليها الباحث ، ولذلك فمتابعة فولف لفكر لايبنتز لا يخرج عن الإطار العام وفي بعض المواقف ، ولا يعني متابعة مطلقة في كل توجهات فولف الفكرية ، ويرجح كون تقليل مكانة فولف الفلسفية ترجع الى خصومه بالدرجة الأساسية .

ويظهر أن المذهب الثنائي عند فولف (المثالي المادي) كانت بتأثير من إسبينوزا ونزعته الثنائية ، فكانت المثالية تعني منذ عصر فولف نقض التصورات المادية للوجود ، وظل مفهوم المثالية منذ القرن الثامن عشر موضوعاً للدلالة على موضوع تحقيري للشخص الذي يدعي الوجود الفكري للنفس ، وينفي وجود العالم الواقعي والجسد .[١١]ويتضح مما تقدم وجود إختلاف بين فولف ولايبنتز ، إذ نجد فولف لم يؤمن بالمذهب الواحدي (المونادات) المعروف عن لايبنتز ، كما أنه تمسك بالمنطق الأرسطي القديم ، ولم يكن مقراً بالمنطق الرياضي المبتكر الذي طرحه لايبنتز في عصره .

كما ينسب إلى فولف الدور الأكبر في نشأة علم النفس التجريبي وإستقلاله عن علم النفس الميتافيزيقي عند نشره لكتابه (السيكولوجيا التجريبية) عام ١٧٣٢ ، ودراسته فيه الوظائف النفسية بمناهج التجربة التي تستخدمها العلوم الطبيعية .[١٢]

المبحث الأول: موقفه من الفلسفة:

للفلسفة عند فولف غاية تتمثل في تحقيق السعادة ، والحصول على السعادة يكون من خلال معرفة واضحة ونشر الفلسفة على أوسع نطاق ممكن وبأقصى قدر من الوضوح ، وليس المقصود بالوضوح هنا الوضوح العقلي والداخلي عند ديكارت ، بل يقصد به المنهج المنظم والمترتب الذي تستخلص فيه النتيجة من مقدماتها .[١٣]وفي هذا المعنى نجد كانط في مقدمة كتابه (نقد العقل المحض) يشيد بمنهج فولف : ((سيكون علينا أن نتبع المنهج الصارم الخاص بفولف الشهير ، كبير الفلاسفة الدوغمائيين جميعاً ، والذي قدم لنا لأول مرة مثالاً ـ من خلاله أصبح رائداً لروح التعمق الذي لم ينطفئ بعد في ألمانيا ـ لكيفية سلوك درب العلم الآمنة بواسطة إقرار المبادئ وفق قوانين ، والتعيين الواضح للأفاهيم ، ومحاولة إقامة البراهين القاطعة ، وتجنب القفزات المتهورة في

الإستنتاجات)) [١٤]ويلاحظ أن فولف لا يميز بين مصطلحي الفهم والعقل كما هو عند كانط ، لذلك عندما يؤكد فولف أن العلم عادة فهم ، فإنه يقصد الإدعاء بأن العقل البشري عندما يتم توظيفه بشكل صحيح ، يمكنه تمييز مجموعات من الحقائق ، وإنشاء نظام مترابط بينها [١٥]. والهدف الأساس للمنهج الفلسفي عند فولف تحقيق اليقين في المعرفة البشرية من خلال إنشاء منهج محكم ينظم المعرفة البشرية وينميها [١٦].

رفع فولف دور العقل البشري كأداة رئيسية للمعرفة البشرية ، ومن ثم سعى بنشاط كبير للدفاع عن مفهومه للعقل ضد المد المتصاعد من المذهب التجريبي المضاد للعقل ودوره في المعرفة البشرية ، ومن ثم في مقابل دعوة جون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤ ونيوتن ١٦٤٣ ـ ١٧٢٧ في تقييد حدود الفهم البشري وعدم فرض نظرية عن العالم الطبيعي لا تستند الى الملاحظة والخبرة الحسية قدم فولف فلسفة عقلانية في مناخ فكري معادي لسلطة العقل ، وذلك من خلال إستيعاب إدعاءات خصومه ، وتضمين المعرفة التجريبية كأساس للمعرفة الفلسفية [١٧]. وهذه الناحية التاريخية تفسر كثيراً من أفكار فولف .

لقد كان فولف فيلسوفاً عقلياً حريصاً على إستخدام الدقة في مباحث الفلسفة وموضوعاتها ، وكان المنهج الأمثل للفلسفة عنده هو المنهج الإستنباطي ، وهو منهج يمكن إستخدامه خارج المنطق الصوري والرياضيات البحتة عن طريق مبدأ عدم التناقض ، لكونه ينطبق على كل علم ، ومن ثم يمكن إستخلاص مبدأ العلة الكافية من مبدأ عدم التناقض ، وكلا المبدائيين مبدأ أنطولوجي (وجودي) ، وليس مبدأ منطقياً فقط . ولمبدأ العلة الكافية أهمية عظيمة في الفلسفة ، فالعالم مثلاً لابد أن تكون علته الكافية في موجود مفارق ، هو الله [١٨]. ولقد سعى فولف إلى تحويل الفلسفة من علم غارق في الشكليات والتنظير ، يتمحور بموضوعات محددة إلى تخصص له قيمة عملية للطلاب الجامعيين الناطقين باللغة الألمانية [١٩].

لكن هذا المنهج المتبع عند فولف له إشكالاته ، إذ يمكن أن يؤدي إلى الخلط بين مبدأ الصرامة المنطقية ومبدأ الوجود بالذات ، وهو ما حصل في تعريف فولف للفلسفة : بأنه علم جميع الممكنات ، ببيانها لماذا وكيف تكون ممكنة ، لآن الممكن عنده هو اللامتناقض ، ومبدأ عدم التناقض هو المبدأ الوحيد عنده للمعرفة الفلسفية ، ومن ثم

ستكون هذه الصرامة في الإستدلال تدفع فولف للتخلي عن مبدأ لايبنتز في السبب الكافي ، وهو المبدأ الأساس للحقائق الفعلية أو الوجودات عند فولف:[٢٠]

إن وصف فولف للفلسفة بأنها علم الممكنات من حيث يمكن أن توجد أو من حيث أن لها طبيعة جوهرية يدلل على أن مذهب فولف هو مذهب في الإمكان والماهية يلعب فيه الوجود دوراً ثانوياً ، ويستمد قيمته وقابليته للمعرفة من الماهية .[٢١]ولا غرابة في ذلك لأن فولف منتمي للفلسفة العقلية المثالية ، التي تقدم الماهية على الوجود .

ويعود سبب قناعة فولف بالمذهب الماهوي لإيمانه أن الوجود لايتضح تمام الوضوح ، كما هو الحال في الماهية ، التي هي الأصل والأساس في المعرفة . وهذا الموقف من فولف كان بسبب تأثره بمؤلفات الشكاك والتجريبيين النقدية اللذين كان لهم صدى كبيراً في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فضلاً عن تراث المذهب العقلي في تلك الفترة خاصة لايبنتز ، وكان أن أقنعته حجج الشكاك بإستحالة الدفاع عن معرفتنا بالعالم الخارجي الموجود عن طريق البرهان ، سواء من خلال الإستنباط العقلي أو الإستدلال التجريبي ، مستنتجاً من ذلك عدم إمكانية إقامة الفلسفة على الدعوى الخاصة بواقع الكون المادي . وهو ما جعل فولف يضع تعريفات محايدة فيما يتعلق بالوجود المستقل للعالم الخارجي من وجهة نظرنا البشري ، ولم يضع إلتزامات أولية على الموجودات المحسوسة ، لكن لاحقاً تغيرت قناعته بتجاهل الجانب الوجودي بشكل تام بتأثير من الفلاسفة الإنكليز .[٢٢]

لكن فولف كان على وعي بأن المنهج الإستنباطي لا يكفي لبناء نسق فلسفي متكامل ، فالعلوم التجريبية لا يمكن المضي فيها من غير التجربة والإستقراء ، وحتى الفلسفة نفسها تحتاج الى عناصر تجريبية ، ولذلك لابد عند فولف من الإقتناع بالإحتمال في الغالب ، صحيح أن بعض القضايا يقينية بصورة مطلقة لا شك فيها ، من حيث عدم إمكانية عكسها من دون الوقوع في التناقض ، لكن هناك قضايا آخرى ليس على هذه الصورة ، بل تتمتع بدرجات مختلفة من الإحتمال ، من دون أن تصل إلى اليقين على الإطلاق .[٢٣]ويتضح من هذا الموقف من فولف وقناعته بالإحتمال أثر الشكاك عليه ، مما جعله مقتنعاً بإستحالة إقامة الفلسفة على منهج مثالي عقلي يقيني كما عرف عند فلاسفة العصر المدرسي ، وعند ديكارت ولايبنتز .

لقد كان لتمييز لايبنتز موافقاً لمذهبه المثالي بين حقائق العقل والتي هي صادقة بالضرورة ، وبين حقائق الواقع والتي تصدق بصورة الإمكان صدى وقبولاً كبيراً عند فولف فكان أن طبق فولف هذا التمييز على نظرته للعالم ، فإذا كان العالم هو نسق

الأشياء المتناهية المترابطة ، وهو يشبه آلة تعمل وتتحرك بالضرورة بطريقة معينة ، لكن بصورة مشروطة . فإذا كان الله أراد العالم على ما هو عليه ، فإنه لا يمكن أن يكون على نحو آخر . وينجم عن ذلك أن هناك قضايا كثيرة صادقة عن العالم لا يكون صدقها ضرورياً بصورة مطلقة . وبما أن العالم مكون من جواهر ، يمثل كل منها ماهية يمكن تصورها على وفق الفكر المثالي بشكل واضح ومحدد ، لأنه عند تصور الماهيات ، يتم تجريد العالم من الوجود العيني ، وينظر في إمكان وجوده بغض النظر عن إختيار الله لهذا العالم ، على الرغم مما يبدو من وجهة النظر هذه من فولف من تعارض مع نظريته عن الماهيات ، لأن يمكن من خلاله إثبات أن نظام العالم لا يمكن أن يكون على صورة آخرى .[٢٤]

لقد دعا فولف الى الجمع بين ثلاثة أنواع من المعرفة : التاريخية ، والفلسفية ، والرياضية . فالمعرفة التاريخية معناها التأكد التجريبي الذي يحصل عليه الإنسان من خلال التجربة الحسية ، وهذه المعرفة أشاد بها فولف بوصفها أساساً لكل فلسفة ، ومرشداً دائماً لكل تدليل إستدلالي ، وبتأثير من قناعته بالإحتمال المعرفي فإن فولف كان متأرجحاً بين الشك في قدرة المعرفة التجريبية على إثبات وجود بعض الأشياء ، وبين قدرتها على إدراك في شئ من التأمل أن لدى الإنسان أفكار عن أشياء يمكن أن توجد .[٢٥]واليقين التجريبي عند فولف يتعلق بالواقعة المجردة ، ولا يمتد إلى السبب الكافي للواقعة المجردة ، ومن ثم ينبغي أن يكون اليقين الفلسفي لا تجريبياً في صورته السليمة الخاصة ، وكل ذرة منه ـ على حد تعبير فولف ـ مستمدة من إستخدام المنهج الرياضي الذي لا يجازف بشئ على الموجودات الواقعية ، وإنما يركز على الكمية المحددة للموضوعات الممكنة والعلاقات الماهوية ، وهذا المنهج الرياضي يمكن الفلسفة من تحديد الأسباب التي تجعل الموضوعات الوجودية يمكن تحديدها بشكل يقيني كامل . ومن ثم فالفلسفة تهتم أولاً بدراسة للمقومات الجوهرية وللأسباب الخارجية ، مع دراسة علل إمكانية تلك المقومات ، ولا يدرس الوجود في الفلسفة إلا من حيث يمكن إستنتاجه عن يقين .[٢٦]هنا فولف لا يغادر أسس مبادئ الفلسفة المثالية السائدة في عصره لأنه يرى اليقين الفلسفي يستمد أصوله من المنهج الرياضي المعتمد على الخيال وأن التجربة المادية لا تنفع في الوصول الى هذا اليقين ، لكنها عامل مهم في تحصيل كثير من المعارف اللاحقة .

المبحث الثاني : مبدأ السبب الكافي :

مبدأ السبب الكافي مبدأ إشتهر عن لايبنتز يقضي بأن لكل شئ سبب يتوقف عليه ، وهو مبدأ ضروري عنده كمكمل لمبدأ عدم التناقض .[٢٧]فموقف لايبنتز حتمية وجود مبادئ عامة يقينية خاصة بالحقائق الضرورية ، أولها مبدأ الهوية الذي يربط الحقائق الضرورية بالمبدأ الثاني (عدم التناقض) ؛[٢٨]فضلاً عن ذلك راى لايبنتز أن الإستدلال العقلي يحتاج الى مبدائيين أساسيين هما : مبدأ التناقض ، ومبدأ السبب الكافي . ويتوصل من خلال مبدأ السبب الكافي بصورة قبلية إلى تعليل وجود الشئ أو عدم وجوده أو إلى تفسير كونه على هذه الحالة أو على غيرها ، ويشتق من مبدأ السبب الكافي بشكل عام مبادئ فرعية : مبدأ السببية ، مبدأ القوانين ، مبدأ الحتمية ، مبدأ الجوهر ، مبدأ الغائية .[٢٩]وعند لايبنتز يشتق من مبدأ السبب الكافي مبدآن هما : مبدأ الإتصال بمعنى ان الإنتقال متصل في الطبيعة بلا طفرة ، ومبدأ اللامتمايزات بمعنى أن كل شئ جزئي لابد أن يختلف عن جزئي آخر بفارق كيفي مطلق فوق إفتراقهما بالعدد .[٣٠]

أما فولف فإنه مع إقراره بأن لكل شئ سبباً إلا أنه وسع دائرة السبب الكافي لتشمل مع الحقائق الضرورية للعقل التي قال بها لايبنتز جميع الأشياء الممكنة ، وعد مبدأ السبب الكافي من جملة مبادئ الفكر البديهية الأساسية حاله حال مبادئ الفكر الثلاث المشهورة (مبدأ عدم التناقض ، مبدأ الهوية ، مبدأ الثالث المرفوع) ، ومن ثم هناك مبادئ بديهية متعددة تزيد عن الثلاثة المشهورة .[٣١]ومن مشتقات مبدأ السبب الكافي مجموعة من المبادئ الفرعية : مبدأ السببية ومبدأ القوانين ومبدأ الحتمية ومبدأ الجوهر ومبدأ الغائية .[٣٢]ويلاحظ أن شوبنهاور١٧٨٨ - ١٨٦٠ قسم مبدأ السبب الكافي إلى أربعة أقسام : مبدأ السبب الكافي للصيرورة ، ومبدأ السبب الكافي للمعرفة ، ومبدأ السبب الكافي للوجود العقلي كما في العلاقات الرياضية ، ومبدأ السبب الكافي للفعل .[٣٣]

لقد وافق فولف على العلاقة الوثيقة القائمة بين ضروب اليقين التجريبي وضروب اليقين الرياضي الفلسفي أو بين معرفة الواقعة المادية ومعرفة الماهية المثالية ، وذلك لقناعته بالحاجة الى كل منهما ، لكن حال بينه وبين تحقيق رغبته في تأسيس الفلسفة

على أساس وجودي تجريبي ثابت ما وجده في عصره من ظاهرة النقد الشكي ، مما إضطره أن يضع اليقين الفلسفي في دائرة الماهيات الممكنة والأسباب الكافية ، من دون أن يعني هذا أن يساير فولف لايبنتز في تفرقته بين حقائق الواقع وحقائق الماهية بإستعانته بمبدأ السبب الكافي ، إذ أن فولف يرى أن الماهيات مؤسسة في العقل الألهي دون إلتباسات ، ومن دون إستقلال لها في الوجود ، فمبدأ السبب الكافي يستطيع أن يعطي الروابط للموجودات أو أسباب الوقائع ، لكنه لا يستطيع تقديم أي يقين إستنباطي يتعلق بالوقائع الفعلية نفسها أو بالإنتاجات الوجودية للإرادة الإلهية ، فليس هناك أساس موضوعي محدد يشكل قرارات الإله الوجودية ، ويسد الثغرة في نسق الإنسان الفلسفي [٣٥].

المبحث الثالث: الانطولوجيا:

يعرف فولف الإنطولوجيا بأنها علم الوجود ، أي علم ما يمكن أن يوجد أو ما لا يرفضه الوجود [٣٦]. فالوجود بالمعنى العام عند فولف هو أي شئ ممكن وجوده ، وأن الأشياء المحتمل وجودها لها طبائع أساسية بقدر ما يكون لها من تحديدات معرفية خالية من التناقض ، وجوهر الكائن البسيط يتم تحديده من خلال خصائصه الأساسية ، والكائن المركب هو الذي يتكون من أجزاء كثيرة متميزة عن بعضها البعض ، لكن مع رابط يوحد تلك الأجزاء وتجعلها في وحدة من نوع محدد [٣٧].

وبينما يذهب ديكارت إلى أن الأنطولوجيا كدراسة للقضايا التي تصدق بالنسبة الى كل موضوع ممكن ، علم لا جدوى منه ، إذ يكفي فيه إسناد محمول إلى موجود بحدس عقلي معين ، كإسناد الإمتداد الى المادة ، فإننا نجد فولف يرى بأن الإنطولوجيا علم لازم لا غنى عنه ، فعلم الإنطولوجيا يمكنه تأكيد المكتشفات في علمي الرياضيات أو الطبيعيات حتى التجريبية منها ، إذ يمكن أن تستنبط من إسس علم الإنطولوجيا المفترضة [٣٨]. وهنا نجد شخصية فولف الفكرية وعدم إتباعه لديكارت في موقفه من الإنطولوجيا ، بتأكيده على أهمية الإنطولوجيا وعدم إمكانية الإستغناء عنه لقيمته في علمي الرياضيات والطبيعيات .

ويرى فولف أن الوجود يظهر في علم الإنطولوجيا بصورة منحرفة لكونه مكملاً للإمكانية ، أو بصورة سلبية لكونه مقدماً لمعيار عدم الرفض، أما بوصفه الفعل المباشر لشئ ما ، فإنه لا يدخل في نطاق الإنطولوجيا التي تظل مجالاً لا وجودياً [١].

وبسبب هذا التصور اللاوجودي للأنطولوجيا أو الميتافيزيقا العامة عند فولف فإنه يذهب إلى كون ثلاثة أقسام من الميتافيزيقا هي التي تحدد مبادئ إمكان الوجود في مناطق الوجود الرئيسية الثلاث . وهذه الأقسام هي : علم الكون (الكسمولوجيا) الذي يدرس أسباب الوجود في العالم الممكن المادي ، وعلم النفس الذي يستنبط الروح بوصفها السبب الكافي لوجود الأفعال الذهنية ، واللاهوت الطبيعي الذي يبرهن على الآله بوصفه أساس وجود صفاته وأحواله ، كما هو أساس وجود العالم . واللاهوت الطبيعي يعتمد على هذه العلوم الآخرى ، فمن الأنطولوجيا يستمد مبادئه العامة وإتجاهه ، ومن الكسمولوجيا يتخذ أساساً فعلياً في العالم المادي ، ومن علم النفس الأساس للروح الكونية ، والبصيرة اللازمة للكمالات الروحية التي تساعد الإنسان على معرفة طبيعة الآله [٢].

ومع ما ذكره فولف فإنه يلاحظ أن اللاهوت الطبيعي يفترض أساساً الإيمان بواقع موجود ، ثم ينطلق لاحقاً من خلال العلة الأولى على كسب معرفة فلسفية بموضوعات الوجود الآخرى ، ففولف هنا لا يوافق على هذا الطرح متأثراً بآراء الشكاك ، ويرى أن هناك فارقاً بين المشاهدات التجريبية للوقائع الموجودة ؛ والمعرفة الفلسفية بالموجودات التي ينبغي أن تقوم على فهم أولي لأسبابها الجوهرية الكافية أيا كان الإرتباط الوثيق الذي يمكن أن ترتبط به الكسمولوجيا وعلم النفس العقلي مع العلوم التجريبية بالأشياء الموجودة ، كذلك في المعرفة الفلسفية بالموجودات التي ترتبط بإمكانية الوجود في الحالات المادية والذهنية . ومن ثم فإن الفهم الميتافيزيقي التقليدي للأشياء الموجودة فعلاً أو يمكن أن توجد في اللاهوت الطبيعي لا يمكنه أن يتحقق بشكل كامل في الكسمولوجيا و علم النفس ، وأن يمتد الى فلسفة عملية إلا بعد أن يضع اللاهوت الطبيعي الوجود الضروري الفعلي للسبب الكافي النهائي للأشياء [٣]. وهنا نلاحظ جمع فولف بين تصورات الفلسفة المدرسية المسيحية من ضرورة الإيمان بالإله أو العلة الأولى للكون ، وأن هذا يقين لا جدال فيه ، وبين إعتراضات الشكاك ضد اليقين الديني ، والذي كان له تأثير كبير على عدد من المفكرين في عصر فولف .

وتقسيم فولف هذا للفلسفة الميتافيزيقية متأثر فيه بالتعليم الإسكولائي (المدرسي) ، الذي تعود أصوله إلى أرسطو وتقسيمه الفلسفة إلى نظرية وعملية ، وتقسيم النظرية أو الميتافيزيقا إلى الأنطولوجيا العقلية التي تهتم بالنفس ، والى الكسمولوجيا التي تعالج الكون ، واللاهوت العقلي أو الطبيعي وموضوعه وجود الله وصفاته . وينسب الى فولف أحياناً الفصل الواضح للأنطولوجيا أو الميتافيزيقا العامة عن اللاهوت الطبيعي لا إلى العصور الوسطى كما هو المشهور [٤].

ويتضح تأثير لايبنتز على فولف في معالجته للجوهر ، فهو وإن لم يستخدم مصطلح الموناد المشهور عند لايبنتز ، فإنه أقر في الوقت نفسه بوجود الجواهر البسيطة التي لا يمكن إدراكها ، والتي ليس لها إمتداد و لا شكل ، من دون تشابه أي جوهرين منهما تشابهاً تاماً ، كما أن الأشياء التي ندركها في العالم المادي هي تجمعات من هذه

الجواهر أو الذرات الميتافيزيقية ، وينتهي الإمتداد عند فولف الى النظام الظاهري المشاهد موافقاً الى لايبنتز ، وعلى الرغم من أن الجسم الإنساني هو تجمع من جواهر بسيطة ، إلا أنه يوجد في الإنسان نفس هي جوهر بسيط يمكن إثباتها بالرجوع الى واقعة الوعي والوعي الذاتي والوعي بالعالم الخارجي ، وعندما نهتم بوجود النفس ونركز ذهننا عليها فإنها تكون واضحة بصورة مباشرة لكل واحد في الوعي عند الذاتي [٥]. وعلى الرغم من تناول فولف لفكرة الجوهر الواردة عند الإسكولائيين فهذا لا يعني تعاطفه معهم ، بل كان مزدرياً لآرائهم ، متابعاً لايبنتز في ذلك ، لكنه كان حريصاً على تطوير أفكارهم ، ويظهر إهتمامه بالوجود على أنه ماهية تأثره بجون دنس سكوت ١٢٦٦ ـ ١٣٠٨ لا بتوما الأكويني ١٢٢٥ ـ ١٢٧٤ ، فالمذهب الأسكولائي المتأخر هو الذي أثر في تفكير فولف ، وليس المذهب التوماي [٦].

وللنفس قدرة على تمثل العالم ، فضلاً عن الأنشطة المختلفة للنفس والتي تكون منها الصورتان الأساسيتان للمعرفة والرغبة ، والعلاقة بين النفس والجسم تكون عن طريق الإنسجام المقدر منذ الأزل ، من دون وجود تفاعل مباشر بينهما كما هو مذهب لايبنتز ، فالله هو الذي رتب الأشياء على نحو تتمثل فيها النفس والعالم وفقاً للتعديلات التي تحدث في أعضاء الحس [٧].

المبحث الرابع : أدلة وجود الله :

تعد مسألة إثبات وجود الله محورية في فلسفة فولف ، ويدل على ذلك أنه ألف كتابين متميزين في مجموعته اللاتينية عن اللاهوت الطبيعي ، الأول منهما ليقدم دليلاً بعدياً على وجود الإله وصفاته مستمداً من إمكان العالم ، والثاني منهما ليثبت وجود الإله من فكرة الكائن الأكمل وليثبت صفاته من طبيعة الروح [٨]. ومن ثم فإن لفولف دليلان لوجود الله هما : الدليل الكسمولوجي ، والدليل الوجودي .

وقبل عرض هذين الدليليين قام فولف بنقد الأدلة الشائعة لإثبات وجود الله ، حيث وجد فيها إما مصادرة على المطلوب أو أنها ترجع الى الدليل الأنطولوجي الديكارتي ، وعلى هذا فإن إعتماد التقويين على دليل الغائية تفترض صراحة نظرية تأليهية عن الإله بوصفه صانعاً للعالم ، حيث يصر فولف على أن أي تفسير غائي للطبيعة ينبغي أن يأتي بعد اللاهوت الطبيعي ، على أن لا يتخذ دليلاً على وجود الله . أما دليل النظام الكوني الذي يضعه أتباع نيوتن ، فلا يمكن إستخدامه بصورة سليمة في اللاهوت الطبيعي إلا بإثبات أن النظام الكوني ممكن ، وأن التشبيه بالصانع يمكن أن يطبق على الخالق اللامتناهي ، كذلك يتفق فولف مع لايبنتز في رفض دليل ديكارت لإثبات وجود الله القائم على فكرة الكائن الكامل ، لأنه دليل ناقص ليس أكثر من فكرة لا واقع لها بالفعل [٩]. ونقد فولف لأدلة وجود الله لابد أنه ترك أثراً على كانط ، وإن كان الدور

الأكبر لنقد كانط لأدلة وجود الله التقليدية متأثر بنقد التجريبين البريطانيين ، وبخاصة هيوم .

والبرهان الأساسي لفولف لإثبات وجود الله هو البرهان الكسمولوجي ، وفيه يذهب إلى أن العالم بما فيه تناسق وترابط لابد له من علة كافية لوجوده ، وهذه العلة الكافية هي الإرادة الألهية ، موافقاً في ذلك الى لايبنتز في كتابه العدالة الألهية (ثيوديسيا) عام ١٧١٠ . كذلك يتفق فولف مع لايبنتز في التمييز بين شر فيزيائي وشر أخلاقي وشر ميتافيزيقي ، فالشر الميتافيزيقي لا يمكن أن ينفصل عن العالم من حيث كونه تعبير عن نقص العالم الناشئ من تناهيه ، أما الشر الفيزيائي والأخلاقي فإن العالم يحتاج إلى إمكانها على الأقل ، فالله خلق العالم حتى يعرفه الإنسان ويبجله ويثني عليه ، ومن ثم وجود الشر في العالم لا يتنافى مع وجود علة كافية لخلقه .[١٠]

أما الدليل الوجودي فقد عده فولف بمثابة دليل أولي لإثبات وجود الله يستخدم كمفتاح يثبت أن أكمل موجود ممكن ، وأن هناك درجات في الوجود ، وأن الموجود الأكمل هو ذلك الموجود الذي تنتهي إليه كل الموجودات في سلسلة الوجود ، ويكون الكائن الأعلى تحققاً بالمعنى الحرفي والفني للوجود ، وبهذا يلغي فولف الرجوع الى معيار المعرفة الحسية لتحديد الموجود الأكمل منتقلاً من العقلي الى الشروط الواقعية للوجود ، ليستطيع من خلال ذلك أن يثبت الامكانية الواقعية للموجود الأكمل ، فالموجود الأكمل ممكن حقاً ما دام لا ينطوي على أي تناقض ، وهو واقع إيجابي صرف لا يشوبه أي سلب لذاته .[١١]

ولإثبات الموجود الأكمل يلجأ فولف صراحة الى معيار قابلية التصور ، إذ يذهب الى أن الوجود إحدى الوقائع أو الكمالات المعروفة المنتمية الى الموجود الماهوي ، وهناك تقسيمان رئيسيان للموجودات هما : الموجود الممكن والموجود الضروري ؛ ويرد الموجود الممكن الى حالة ممكنة لماهيته ، على حين أن وجود الموجود الضروري يتصور وفقاً لصفة ضرورية تتصف بها مثل هذه الطبيعة الماهوية ، والموجود الضروري هو الذي له المقام الأعلى في سلسلة الموجودات ؛ إذ أن عقلنا لا يستطيع تصور ما هو أعظم منه .[١٢]إذن فولف يهدف إلى إثبات الموجود الأكمل بالإعتماد على الأفكار المثالية في الشروط الواقعية للوجود في عقل الإنسان و لا يقتنع بالتجربة الحسية لإثبات ذلك .

وبعد هذا التمهيد من فولف يقدم برهانه الوجودي المعدل الخاص به ، بعد التسليم بتعريف الله على أنه الموجود الأكمل ، حيث يبين أن الله يحتوي على جميع الوقائع الممكنة في أعلى مرتبة ، وعلى الرغم من كون الله في ذاته ممكن ، لكن من الممكن أن ينتهي الوجود إليه ، ومن ثم الله هو الموجود الذي ينتهي الوجود إليه ويكون ضرورياً واجب الوجود .[١٣]

ويعتمد الدليل الوجودي على الإعتقاد بالصدق الوجودي لمبدأ السبب الكافي ، ومن ثم يقيم فولف قبوله الصوري للمبدأ العام للسبب الكافي على أسس لا وجودية : مثل

التجريد الرياضي ، والإفتقار الى رفض التجربة وخاصة على الدافع الطبيعي للعقل الإنساني الى وضع سبب ، ومع ذلك فإن فولف يمنح هذا الدليل في كتابه اللاهوت الطبيعي مضموناً وجودياً ، فالمصدر الوحيد لمعرفة الوجود الذي يسبق إثبات وجود الله هو وعينا التجريبي بالتسلسل السببي ، وهذا الوعي بالنهاية هو مصدر الدلالة الوجودية لمبدأ السبب الكافي .[١٤]

والدليل الوجودي بهذا العرض من فولف ينتهي الى كائن واجب الوجود ، وإن لم يكن هذا الكائن هو الله بالضرورة ، فالبرهان الذي يضعه فولف يؤدي الى صفة الضرورة التي ينبغي بعد ذلك أن نثبت إنتماءها الى اله موجود ؛ ولكي يتم هذا الإنتقال يثبت فولف أن الكائن الضروري موجود بذاته أي أنه كائن يتمتع بإستقلال وجوده ، لأن الموجود الضروري يكون سبب وجوده الكافي في ماهيته الخاصة وقدرته الخاصة ، ويلزم من ذلك أن الموجود المستقل ينبع السبب الكافي لوجوده في ذاته ولذاته من وجوده الخاص فقط ، وهذا الإضطرار العقلي ينشأ من كوننا عاجزين عن تصور واجب الوجود لذاته إلا بوصفه موجوداً ، وهذا بسبب التعينات الجوهرية المتميزة التي نعرف أنها تكون ماهية هذا الكائن الواجب الوجود .[١٥]

وعلى هذا فالدليل الوجودي حظي بالقبول عند فولف وعمل على تطويره كما عمل على ذلك لايبنتز محاولين جهدهم في تحصينه أمام النقود الموجهة له خاصة الملحدين والتقويين ، حيث إعتقد التقويين أن فولف وضع العقل مكان الإيمان ، وقوض تصورهم للدين .[١٦]

إن الثيولوجيا الطبيعية عند فولف تكمل الفلسفة النظرية ، فوجود الله ضروري لأنه الأساس الأول لإمكانية وجود الموجودات التي لا تكمن علة وجودها فيها ، وهذا دليل مستند الى جواز حدوث العالم ، الذي كان يحظى بقبول واسع في القرن الثامن العشر ، ويستنتج فولف من طبيعة الله أن لا هدف له عند خلقه غير أن البشر تعرفه وتجله لكونه المخلوق العاقل بين الموجودات ، ومن ثم فإن كل شئ في الكون مسخر لخدمة الإنسان متوافقاً في ذلك مع الفكر اللاهوتي المسيحي السائد في العصر الوسطى .[١٧]وأن هدف اللاهوت الطبيعي توضيح المطلوب من الوحي الألهي كما جاء في الكتاب المقدس .[١٨]

ولكي يضفي فولف طابعاً وجودياً على الكسمولوجيا وعلم النفس والعلوم الأخلاقية العملية فإنه توسع في عرض الصفات الألهية والقدرة الخلاقة لله ، ومن ثم لكي نفسر العالم المتناهي على أنه موجود ، ينبغي الإستناد الى ثلاث صفات لله هي : العقل والقوة والإرادة ، فالعقل الإلهي يستطيع أن يفسر الإمكانية الباطنة للأشياء ، والقوة الالهية تفسر إمكانياتها الخارجية على علة متكافئة موجودة ، حيث أن القوة الإلهية عند فولف هي إمكانية إخراج ما هو ممكن في حد ذاته الى حيز الفعل ، أما الإنتقال من هذه الإمكانية الى الاحداث الفعلي ، فلا يتم إلا بواسطة الإرادة الإلهية .[١٩]وفي هذه الجزئية يختلف عن لايبنتز في إنكاره أن تكون الإرادة مجرد مصدقة على القدرة الإلهية ، فالإرادة هي قوة الله الوجودية الأساسية لخلق الموجودات ، وهي شئ لا سبيل لتعليله

على الإطلاق ، لأن عقلنا البشري لا يستطيع أن يفهم أو يتدخل في نطاق أنطولوجيا الأسباب الكافية ، وهذا ما يثير الإعتراض على فولف لأن العلة الآخيرة للوجود الفعلي للأشياء الممكنة لا تنسجم مع المنهج العلمي الصارم .[٢٠]

المبحث الخامس: تأثير فولف:

كان لفولف تأثير ضخم على معاصريه ، إذ أنه كان أول فيلسوف ذو طابع منهجي منظم ، كما ينسب إليه الفضل في نشر مصطلحات الفلسفة الى اللغة الألمانية ، بل إدخال ألفاظ جديدة الى اللغة الألمانية مثل لفظ Begriff بمعنى مفهوم ، وظل تأثيره بارزاً الى مجئ هيجل وشيوع فلسفته .[٢١]وينبغي عدم إغفال العصر الذي نشأ فيه فولف ، إذ لم يكن للفلسفة الألمانية إلى زمانه فلاسفة بارزين عدا لايبنتز ، فكان أن هيمنت أفكاره على الجامعات الألمانية حتى ظهور النقد الكانطي . وكانت فلسفة فولف متفوقة على فلسفة خصومه اللاهوتيين حتى جاءت فلسفة كانط وأتباعه وتفوقت عليه .[٢٢]

ومع تقدير كانط لمنهج فولف المحكم في تناوله للميتافيزيقا ، من خلال إقامة قوانين أساسية ، وإعطائها براهين قاطعة منظمة متسلسة ، بما يؤهله لتوجيه الميتافيزيقا كعلم متماسك ، إلا أنه في الوقت نفسه غفل عن نقد ألة الميتافيزيقا الأساسية أي ـ العقل المحض ـ ، ويعذر كانط فولف في ذلك بسبب تأثير طريقة التفكير الدوغمائية السائدة في عصره .[٢٣]

وبما أن قيمة فولف تمثلت في منهجيته الدقيقة أكثر من كونها تعود الى أصالة أفكاره الفلسفية ، لذلك أثارت تعاليمه معارضة كثيرين في عصره [٢٤]مثلاً نجد كانط يوجه نقده الى اللاهوت الطبيعي عند فولف بشكل خاص مع إقراره بشمول هذا النقد لكل مذهب نظري عن الله ، وعلى الرغم من إتفاق كانط مع فولف على أن كل أدلة وجود الله ترجع إلى الأدلة المستمدة من دليلي الإمكان والموجود الأكمل ، إلى أنه يشير إلى أن هذه الأدلة لا تعد بعدية إلا من كونها نابعة من عقلنا . كما ينتقد كانط إخفاق فولف في إيجاد علاقة بين الوجود التجريبي المحسوس والوجود الذي ينتسب إلى الماهية ، وعدها نقطة ضعف عمل على تلافيها في فلسفته النقدية ، وكانت بمثابة حجر الزاوية فيها .[٢٥]وعلى الرغم من النقد الذي وجهه كانط فإنه لا يلغي تقديره لفولف ، فكانط تلميذ لفولف في بداياته الدراسية ، ولاحقاً ناقداً لتوجهاته العقلانية الخالصة ، وعده فولف من أهم ممثلي العقلانية الوثوقية أتباع مذهب ديكارت ولايبنتز .[٢٦]

وكان الفلاسفة المثاليون الألمان - هيجل وفختة وشيلنج - مبهورين بالدور المحوري الذي يقوم به اللاهوت الطبيعي في فلسفة فولف من قيمته في العلوم النظرية بإعطائها مبادئها الاولى ، كما أن له عملاً بنائياً في الفلسفة العملية ، فاللاهوت الطبيعي يستطيع أن يمنح العقل الخالص نوراً خاصاً ، يتابع من خلاله التطور الكامل لفكرة الوجود وأسبابها الكافية [٢٧]ليستطيع الإنسان لاحقاً من إقامة مذهب فلسفي كامل يتناول التركيبات الجوهرية وروابط الأشياء جميعاً والوجود الالهي ، وإمكانية الأحوال الممكنة للموجودات الاخرى ، ليكون قادراً على وضع تفسير موحد لوجودها الفعلي ، وهو أمر رأى هيغل عجز فولف عن بلوغه لإنه أبقى على إرادة ألهية حرة لا سبيل إلى تعليلها ، كذلك يعود إلى تردده في رد الوجود النجريبي المشاهد إلى نظرية الوقائع الفعلية الجوهرية ، وهو ما عمل هيجل على معالجة هذا العجز بإخضاعه الإله والوجود للقانون الديالكتيكي (الجدلي) للمطلق المشهور في فلسفة هيجل .[٢٨]

كما أن الفلسفات المسيحية المدرسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تغلغلت فيها فلسفة فولف بشكل كبير على الرغم من وجود كثير من التحفظات على أفكار فولف وتصوراته اللاهوتية ، مثل موقفه من الحرية الإلهية ، إلا أن كثير منهم رحب بتقسيماته للفلسفة ، مفهومه للأنطولوجيا وعلم النفس ، فضلاً عن لاهوته الطبيعي ، وإستخدامه للسبب الكافي ، إذ بدى لهم بديلاً أمناً ناجحاً في مواجهة أراء الجناح المتطرف في عصر التنوير المنكر لوجود الله ، فضلاً عن تشكيكات كانط لأدلة وجود الله النظرية التقليدية .[٢٩]وفي الجانب نفسه نجد أن الكنائس البروتستناتية في ألمانيا تمثلت بعضاً من فلسفة فولف الليبرالية لأنها كانت أكثر مرونة من الكاثوليكيين في فرنسا وأتباع كالفن البروتستانت في جنيف :[٣٠]

الخاتمة:

١ - إن فولف لم يكن متابعاً لفلسفة لايبنتز بشكل مطلق ، ولذلك نجد عنده إختلافاً مع أفكار لايبنتز في عدة مواضيع ، منها رفض فولف للمذهب الواحدي (المونادات) عند لايبنتز ، كذلك رفضه للمنطق الرياضي الذي دعا لايبنتز له ، إذ راى فولف أن المنهج الإستنباطي هو المنهج الأمثل للفلسفة ، كما أن فولف وسع من دائرة مبدأ السبب الكافي لتشمل الممكنات وليس الحقائق الضرورية فقط كما عند لايبنتز .

٢ - إختلف فولف عن ديكارت في عدة نقاط منها : عده الوضوح مبدأ أساسي في المنهج الفلسفي ، لكنه خالف ديكارت في كون الوضوح مرتبطاً بالمنهج الدقيق الصارم في عرض قضايا المعرفة البشرية بحيث تكون النتائج متفقة مع مقدماتها وليس المقصود من الوضوح الإتساق الداخلي بين تلك القضايا كما يرى ديكارت ، كذلك الموقف من الأنطولوجيا ، إذ أعطى فولف الى الأنطولوجيا قيمة أساسية ، بخلاف نظرة ديكارت التي عد فيها الأنطولوجيا علم لا جدوى منه .

٣ ـ بدأ فولف بدراسة اللاهوت في مرحلة عمرية مبكرة لمعرفة الديانة المسيحية والدفاع ، وبعد ذلك توجهت أيضاً لدراسة الرياضيات والطبيعيات والفلسفة ، ويبدو أنه في كل توجهات الفكرية على إمتداد حياته لم يبتعد عن هدفه الاول والأسمى بالدفاع عن العقيدة المسيحية .

٤ ـ كان فولف في إقامة دعائم المذهب العقلي حريصاً على الوقف في وجه المد التجريبي الذي ساد في إنكلترا خاصة على يد جون لوك

٥ ـ إن شهرة فولف كانت تعود بسبب قدرته على عرض مباحث الفلسفة بدقة وإيجاز وبلغة تعليمية مناسبة ، ويبدو أنه هذا ما دفع الكثيرين لعده تابعاً لفلسفة لايبنتز ، على أساس أن مؤلفات فولف لم تخرج عن كونها كتباً تعليمية ، وليس فيها إطروحات فكرية مبتكرة في إطارها العام .

٦ ـ يتضح أثر العصر الذي نشأ فيه فولف من خلال قناعته بالإحتمال في بعض المسائل متأثراً بفكر الشكاك الذي كان له حضوره البارز في الساحة الفكرية الأوربية في القرنين السادس والسابع عشر ، كما في أفكار مونتاني ١٥٣٣ ـ ١٥٩٢ و ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ ، من دون أن يصل ذلك الى عدم إيمانه باليقين ، لأن فولف بين وبوضوح إيمانه باليقين الفلسفي من خلال إستخدام المنهج الرياضي .

٧ ـ كان لموقف السلطة السياسية أثرها في نشر فكر فولف ، فإعجاب الأمبراطور فريدريك الثاني بأراء فولف ساهم في إفساح المجال لفولف في إلقاء محاضراته وإصدار مؤلفاته بعد أن أعاده الى جامعة هاله .

٨ ـ عد فولف أول من أطلق مصطلح الأنطولوجيا ، ومن ثم أصبح بعده مبحثاً مستقلاً واضح المعالم في مسائل الفلسفة الحديثة ، لكن هذه الريادة على الرغم من شهرتها إلا أنها ليست بمحل إتفاق بين الباحثين ، إذ يرى بعض منهم أنها تعود الى كلوبرك ١٦٢٢ ـ ١٦٦٥ ، أو تعود الى جان بابست دوهاميل ١٦٢٤ ـ ١٧٠٦.

الهوامش:

١ بدوي: موسوعة الفلسفة ، ٢ ، ٢٠٧ . مدينة برسلاو تقع حالياً في بولندا بينما مدينة هاله تقع في ألمانيا ، وكلا المدينتين كانا في عصر فولف ينتميان للأمبراطورية البروسية ، وللإشارة نجد في معجم الفلسفة ، طرابيشي ، ص ٤٧٦ أن ولادته ١٤ يناير ١٦٧٩ ووفاته ٩ أبريل ١٧٥٤ ، وهو إختلاف محدود في أيام قليلة يعكس نوعاً من الإهتمام عند الباحثين في إيراد تفاصيل عن المفكرين لها أهمية في تحديد جوانب فكرية معينة متعلقة بالزمن ولو كان الفارق أيام محدودة ، فضلاً عن حب الإطلاع والتعرف على تفاصيل الأمور .

٢ طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص ٤٧٦ .

٣ بدوي : موسوعة الفلسفة ، ٢ ، ٢٠٧ .

٤ المصدر نفسه ، ٢ ، ٢٠٧ ـ ٢٠٨ . ومن هذا عد فولف أول من كتب باللغة الألمانية في التاريخ الفلسفي ، ولعل هذا من الأسباب التي دعت الفيلسوف الألماني كانط (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) إلى نحت مصطلحات فلسفية خاصة متوافقة مع منهجه الفلسفي بالنظر إلى عدم وضوح المصطلحات الفلسفية في اللغة الالمانية . وكانت من أسباب تعقيد مصطلح كانط الفلسفي .

٥ التقوية البروتستانتية : حركة دينية ظهرت في ألمانيا في منتصف القرن الثامن العشر بل إكتسحتها ، وكانت من نواحي كثيرة مقابلاً للإحياء الديني الذي قام به ويزلي في إنكلترا وأمريكا ، وساهمت النزعة التقوية في تقوية الشعور الديني وأكدت على حياة أخلاقية قاسية وبسيطة ، ونبذت اللاهوت الذي يسير حسب قواعد معينة . ينظر : رايت ، وليم كلي : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ٢٤٣ .

٦ ينظر : بدوي : موسوعة الفلسفة ، ٢ ، ٢٠٨ . طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ٤٧٦ .

٧ بدوي : موسوعة الفلسفة ، ٢ ، ٢٠٨ .

٨ كوبلستون : ج ٦ ، ص ١٥٩ .

٩ بدوي : موسوعة الفلسفة ، ٢ ، ٢٠٨ . ومن هذا النقد الموجه لفلسفة فولف ما نجده عند وليم كلي رايت في كتابه (تاريخ الفلسفة الحديثة) ، ص ٢٤٣ من وصف فولف : ((ولقد كان جافاً وسطحياً ، إذ كان ينقصه عمق الإستبصار في فكر ليبنتس العميق ، كما أخفق في التعبير عن روحه الحقيقية)) .

١٠ ينظر : موسوعة ستانفورد ، فقرة (٢) العلاقة مع لايبنتز .

١١ زندكولر ، هنس : المثالية الألمانية ، مج ١ ، ص ٤٠ .

١٢ الطويل ، د . توفيق : إسس الفلسفة ، ص ٨٢ .

١٣ برهييه : تاريخ الفلسفة ، ج ٥ ، ص ٦٣ .

١٤ ص ٤١ من ترجمة موسى وهبة .

١٥ مقال فولف في موسوعة ستانفورد ، فقرة ٤ (في العلوم الإنسانية) .

١٦كور ، تشارلز : مقال فولف في موسوعة روتلدج بالإنكليزية .

١٧ مقال فولف في موسوعة ستانفورد .

١٨ كولستون : تاريخ الفلسفة ، ج ٦ ، ص ١٦٠ . وموقف فولف هنا ينفق مع موقف لايبنتز في أهمية مبدأ العلة الكافية في الفلسفة بشكل عام ، وإثبات وجود الله بشكل خاص .

١٩ موسوعة ستانفورد ، ترجمة فولف .

٢٠ برهييه : تاريخ الفلسفة ، ج ٥ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

٢١ ينظر : كولينز : الله في الفلسفة الحديثة ، ص ١٩٥ .

٢٢ ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

٢٣ كوبلستون : تاريخ الفلسفة ، ج ٦ ، ١٦٠ ـ ١٦١ .

٢٤ المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ١٦١ .

٢٥كولينز : الله في الفلسفة الحديثة ، ص ١٩٦ .
٢٦ المصدر نفسه ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
٢٧ مدكور ، إبراهيم : المعجم الفلسفي ، ص ٩٦ .
٢٨ وهبه ، مراد : المعجم الفلسفي ، ٥٦٣ .
٢٩ صليبا : المعجم الفلسفي ، ج ١ ، ص ٦٤٩ . ويقارن : موسوعة ستانفورد ، مقال فولف ، فقرة ٦ (مبدأ السبب الكافي) . ويلاحظ أن شوبنهاور١٧٨٨ ـ ١٨٦٠ قسم مبدأ السبب الكافي إلى أربعة أقسام : مبدأ السبب الكافي للصيرورة ، ومبدأ السبب الكافي للمعرفة ، ومبدأ السبب الكافي للوجود العقلي كما في العلاقات الرياضية ، ومبدأ السبب الكافي للفعل .
٣٠ كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ١٢٧ .
٣١ ميز لايبنتز بين حقائق العقل وعدها ضرورية ، وبين حقائق الواقع وعدها ممكنة ، وأن حقائق الواقع تعتمد على مبدأ السبب الكافي لأنها لا ترتكز على مبدأ عدم التناقض كما هو حال حقائق العقل . كما عد لايبنتز قضية الله موجود من حقائق العقل الضرورية ، وأن أساس الرياضيات هو مبدأ التناقض أو مبدأ الهوية ، ولكي يتم الإنتقال من الرياضيات إلى الفلسفة الطبيعية فإنا بحاجة إلى مبدأ جديد هو مبدأ السبب الكافي . ينظر : كوبلستون : تاريخ الفلسفة ، ج ٤ ، ص ٣٧١ ـ ٣٧٣ .
٣٢ ينظر : موسوعة ستانفورد ، مقال فولف ، فقرة ٦ (مبدأ السبب الكافي) .
٣٣ صليبا ، د . جميل : المعجم الفلسفي ، ج ١ ، ص ٦٥٠ .
٣٤ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦٥٠ . وتكمن أهمية شوبنهاور في أن رسالته للدكتوراه عن الأصول الأربعة لمبدأ السبب الكافي .
٣٥ كولينز : الله في الفلسفة الحديثة ، ص ١٩٧ .
٣٦ المصدر نفسه، ص ١٩٧. ويقارن:
Theologle Naturalis, Verone, 1931, p, 61.، , Christiano Wolfio
٣٧ مقال فولف في موسوعة ستانفورد .
٣٨ برهييه : تاريخ الفلسفة ، ج ٥ ، ص ٦٤ .
٣٩ كولينز : الله في الفلسفة الحديثة ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .
٤٠ المصدر نفسه ص ١٩٨ .
٤١ المصدر نفسه في الصفحة نفسها .
٤٢ كوبلستون: تاريخ الفلسفة، ج ٦، ص ١٦٢. ويذكر كوبلستون في الصفحة نفسها وبعدها أن كلوبرك ١٦٢٢ ـ ١٦٦٥ هو الذي قام بهذا الفصل قبل فولف، كما إستخدم جان بابست دوهاميل ١٦٢٤ ـ ١٧٠٦ مصطلح الأنطولوجيا في مؤلفه الفلسفة الشاملة.
٤٣ كوبلستون : تاريخ الفلسفة ، ج ٦ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

٤٤ كوبلستون: تاريخ الفلسفة، ج ٦، ص ١٦٢. وتأثر فولف بجون دنس سكوت يظهر من كون سكوت يحكم على الموجود تبعاً لطريقة تعقلنا لا تبعاً لحال الموجود المعقول. ينظر: كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص ١٨٤.
٤٥ كوبلستون : ج ٦ ، ص ١٦٤ .
٤٦ كولينز : الله في الفلسفة الحديثة ، ص ١٩٩ .
٤٧ المصدر نفسه في الصفحة نفسها .
٤٨ كوبلستون : تاريخ الفلسفة ، ج ٦ ، ص ١٦٤ .
٤٩ الله في الفلسفة الحديثة ، ص ٢٠٣ .
٥٠ المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
٥١ المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ .
٥٢ المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
٥٣ المصدر نفسه ، ص ٢٠١ .
٥٤ كوبلستون : تاريخ الفلسفة ، ج ٦ ، ص ١٦٥ .
٥٥ برهييه : تاريخ الفلسفة ، ج ٥ ، ص ٦٥ .
٥٦ Christiano , Theologle Naturalis , Verone , 1931 , P , 10 Wolfio
٥٧ الله في الفلسفة الحديثة ، ص ٢٠٥ .
٥٨ المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
٥٩ الحفني : موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج ٢ ، ص ١٠٤٤ . وفي معجم الفلاسفة ، طرابيشي ص ٤٧٦ ينقل المؤلف عن جورجيو تونلي أن فولف كان ركيزة الفلسفة الألمانية حتى مجئ كانط وفلسفته . وبالنسبة إلى مصطلح Begriff فيستخدمه كانط بكثرة ويفضل د . موسى وهبه في مقدمة ترجمته لكتاب كانط نقد العقل المحض ص ١٢ إلى لفظة (أفهوم) لا مفهوم . كذلك يشير برتراند رسل في كتابه (تاريخ الفلسفة الغربية) ج ٣ ، ص ١٥٨ الى سيطرة فولف على الجامعات الألمانية حتى نشر كانط كتابه (نقد العقل الخالص ، على الرغم من تقديمه للفلسفة بطريقة تعليمية جافة خالية من الجوانب المشوقة في فلسفة لايبنتز ، وهو ما يتفق مع ما يذكره تشارلز كور في مقالته عن فولف في موسوعة روتلدج بالإنكليزية .
٦٠ كوبلستون : تاريخ الفلسفة ، ج ٦ ، ص ١٧٠ .
٦١ كانط : نقد العقل المحض ، ترجمة : موسى وهبه ، ص ٤١ .
٦٢ طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص ٤٧٦ . والحفني : موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج ٢ ، ص ١٠٤٤ .
٦٣ الله في الفلسفة الحديثة ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
٦٤ طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص ٤٧٦ .

٦٥ Theologia Naturalis، Wolfio preface without numbering. Christiano,

٦٦ كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ص ٢٠٧. وفصل هيغل في بيان عيوب اللاهوت الطبيعي عند فولف في كتابه المنطق. The Logic of Hegel, Translated; Hegel , William Wallace, Merton Gollege, Oxford .

٦٧ كولينز: الله في الفلسفة الحديثة، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ . وفي جانب قريب نجد الفيلسوف الألماني هيردر يرفض سيكولوجية الملكات التي قال بها فولف . ينظر : الحفني ، عبد المنعم : موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج ٢ ، ص ١٥٠٨ .

٦٨ رايت ، وليم كلي : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص ٢٤٣ .

المصادر:

أولاً: المصادر العربية:

١ ـ بدوي ، د. عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدارسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٢ ـ برهييه ، إميل : تاريخ الفلسفة ، ، ترجمة : جورج طرابيشي ، ج ٥ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣ ـ الحفني ، عبد المنعم : موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

٤ ـ رايت ، وليم كلي : تاريخ الفلفسة الحديثة ، ترجمة محمود سيد أحمد ، ط ١ ، دار التنوير ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

٥ ـ راسل ، برتراند : تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث ، ترجمة : د . محمد فتحي الشنيطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

٦ ـ زندكولر ، هنس : المثالية الألمانية ، ترجمة : أبو يعرب المرزوقي وأخرون ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٢ .

٧ ـ صليبا ، د . جميل : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ .

٨ ـ طرابيشي ، جورج : معجم الفلاسفة ، ط ٣ ، دار الطليعة ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

٩ ـ كانط ، إيمانويل : نقد العقل المحض ، ترجمة موسى وهبه ، مركز الإنماء القومي

١٠ ـ كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، القاهرة .

١١ ـ كوبلستون ، فردريك : تاريخ الفلسفة ، ج ٦ ، ترجمة : حبيب الشاروني و محمود سيد أحمد ، ط ١ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠ .

١٢ ـ كولينز، جيمس: الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨.

١٣ ـ مدكور ، إبراهيم : المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

١٤ ـ وهبه، مراد: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

1- Christiano Wolfio, Theologle Naturalis, Verone, 1931.
2- Hegel, The Logic of Hegel, Translated; William Wallace, Merton College, Oxford.